المبحث الثامن

نفع الناس بالزرع والغرس

الزرع من أهم مقومات الحياة ، جعله الله قوتًا للإنسان والحيوان ، وعلَّم الناس كيف يغرسوا ويزرعوا ، وجعل لهم في خلق النبات آيات ، تذكرهم بحاجتهم إلى الله مهما كثر عندهم القوت ، ونما الزرع .

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ :

« تأمل الحكمة الإلهية في إخراج الأقوات والثمار والحبوب متلاحقة شيئًا بعد شيئ متتابعة ولم يخلقها كلها جملة واحدة ، فإنها لو خلقت كذلك على وجه الأرض ، ولم تكن تنبت على هذه السُّوق والأغصان لدخل الخلل وفاتت المصالح التي رُتبت على تلاحقها وتتابعها ، فإن كل فصل وأوان يقتضي من الفواكة والنبات غير ما يقتضيه الفصل الآخر، فهذا حارٌّ وهذا بارد وهذا معتدل، وكلٌّ في فصله موافق للمصلحة لا يليق به غيرُ ما خُلِقَ فيه . . . » (١) .

« ثم تأمل الحكمة في خلق الورق فإنك ترى في الورقة الواحدة من جملة العروق الممتدة فيها المبثوثة فيها ما يبهر الناظر ، فمنها غلاظ ممتدة في الطول والعرض ، ومنها دقاق تتخلل تلك الغلاظ منسوجة نسجًا دقيقًا مُعجبًا لو كان مما يتولى البشر صنع مثله بأيديهم لما فرغوا من ورقه في عام كامل،ولاحتاجوا فيه إلى آلاتٍ وحركات وعلاج تعجز قدرتهم عن تحصيله ، فبثَّ الخلاق العليم في أيام قلائلَ من ذلك ما يملأ الأرض سهلها وجبالها، بلا آلاتٍ ولا مُعين ولا فكرة ولا معالجة ، إن هي إلا إرادته النافذة في كل شيء. . .فتأمل الحكمة في تلك العروق المتخللة الورقة بأسرها لتسقيها وتوصل إليها المادة فتحفظ عليها حياتها ونضارتها

---

(١) مفتاح دار السعادة (٢ / ١٠٠) .

بمنزلة العروق المبثوثة في الأبدان التي توصل الغذاء إلى كل جزء منه ... » [١].

« ثم تأمل حكمة اللطيف الخبير في كونها جُعلت زينة للشجر وسترًا ولباسًا للثمرة ووقاية لها من الآفات التي تمنع كمالها ، ولهذا إذا جُرِّدت الشجرة من ورقها فسدت الثمرة ولم يُنتفع بها ، وانظر كيف جعلت وقاية لمنبت الثمرة الضعيفة من اليبس ، فإذا ذهبت الثمرة بقي الورق وقاية لتلك الأفنان الضعيفة من الحر ، حتى إذا طفئت تلك الجمرة ، ولم يضر الأفنان عراها من ورقها وسلبها إياه لتكتسي لباسًا جديدًا أحسن منه ﴿ **فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** ﴾ الذي يعلم مساقط تلك الأوراق ومنابتها » [٢].

« ثم تأمل الحكمة في كثرة الحبوب كالبر والشعير ونحوهما،وتأمل النماء الذي وضعه الله في الزرع حتى صارت الحبة الواحدة ،ربما أنبتت سبع مئة حبة، ولو أنبتت الحبة حبة واحدة مثلها لا يكون في الأرض متسع لما يُبذر في الأرض من الحب،وما يكفي الناس ويقوّتُ الزراع إلى إدراك زرعه،فصار الزرع ينمو بهذا النماء ليفي بما يُحتاج إليه للقوت والزراعة وكذلك ثمار الأشجار والنخيل... » [٣].

ثم تأمل الحكمة في شجرة اليقطين والبطيخ والجزر ، كيف لما اقتضت الحكمة أن يكون حملُه ثمارًا كبارًا جعل نباته منبسطًا على الأرض إذ لو انتصب قائمًا كما ينتصب غيره من الزرع لضعفت قوّته على حمل هذه الثمار الثقيلة، ولنُقضت قبل إدراكها وانتهائها إلى غاياتها ، فاقتضت حكمة مُبدعها وخالقها بسطها ومدها على الأرض لتتحمل عنه ثماره ... » [٤].

« ثم تأمل أحوال هذه العقاقير والأدوية التي يخرجها الله من الأرض وما خصَّ به كل واحد منها وجعل عليه من العمل والنفع ... » [٥].

---

(١) المرجع السابق (٢/ ١٠٤).
(٢) المرجع السابق (٢/ ١٠٥).
(٣) المرجع السابق (٢/ ١١٠) بتصرف.
(٤) مفتاح دار السعادة (٢/ ١١٤).
(٥) المرجع السابق (٢/١٢٣).

« فجدير بمن له مُسْكةٌ من عقل أن يسافر بفكره في هذه النعم والآلاء ويكرر ذكرها لعله يوقفه على المراد منها : ما هو ؟ ، ولأي شيء خُلقَ ؟ ، ولماذا هُيئ ؟ ، وأي أمر طلب منه على هذه النعم ، كما قال تعالى : ﴿فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف : ٦٩] ، فذكر آلائه تبارك وتعالى ونعمه على عبده سبب الفلاح والسعادة ، لأن ذلك لا يزيده إلا محبة لله وحمداً وشكراً وطاعة ... » [١] .

أرأيت كل هذه العظمة في الزرع التي تدل على عظمة الصانع ولو تأملها الناس كما تأملها العارف ابن القيم ما قطع أحد عن أحد مئونة ، ولا بخل بشيء إذ كيف يبخل بشيء لم يصنعه ! .

ولهذا عندما يغتر الإنسان بكثرة زرعه ويمنع رفده للآخرين يذكره الله تعالى بقوله : ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) ﴾ .

[الواقعة :٦٣-٦٧] .

قال الشيخ / السعدي ـ رحمه الله ـ :

« هذا امتنان منه على عباده يدعوهم به إلى توحيده وعبادته والإنابة إليه ، حيث أنعم عليهم بما يسَّره لهم من الحرث والزروع والثمار ، فتخرج من ذلك من الأقوات والأرزاق والفواكه ، ما هو من ضروراتهم وحاجاتهم ومصالحهم ، التي لا يقدرون أن يحصوها فضلاً عن شكرها وأداء حقها ، فقررهم بمنته فقال : ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ أي أأنتم أخرجتموه نباتًا من الأرض ؟ ، أم أنتم الذين أخرجتم سنبله وثمره حتى صار حبًّا حصيداً وثمراً نضيجًا ؟ ، أم الله الذي انفرد بذلك وحده وأنعم به عليكم ؟! ، وأنتم غاية ما تفعلون أن تحرثوا الأرض وتشقوها وتلقوا فيها البذر ثم بعد ذلك لا علم عندكم بما يكون بعد ذلك ، ولا

(١) المرجع السابق (٢ / ١١٣) .

قدرة لكم على أكثر من ذلك ، فنبههم على أن ذلك الحرث مُعرَّض للأخطار لولا حفظ الله وإبقاؤه لكم بلغة ومتاعًا إلى حين ... » (١) .

وقد جاء في الحديث أنه ﷺ قال : « **لا يقل أحدكم زرعت وليقل حرثت** » (٢) .

وإليك واقعة تدل على أن الناس إذا لم ينفع بعضهم بعضًا بما يزرعون يكون هذا سببًا في نقص أقواتهم وضيق عيشهم ، وهذه الواقعة هي المذكورة في قصة أصحاب الجنة ، يقول الله تعالى : ﴿ **إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣)** ﴾ .

[القلم : ١٧-٣٣] .

قال صاحب الظلال ـ رحمه الله ـ :

« ها نحن أولاء أمام أصحاب الجنة ـ جنة الدنيا لا جنة الآخرة ـ وها هم أُولاء يبيتون في شأنها أمرًا ، لقد كان للمساكين حظ من ثمر هذه الجنة ـ كما تقول الروايات ـ على أيام صاحبها الطيب الصالح ، ولكن الورثة يريدون أن يستأثروا بثمرها الآن ، وأن يحرموا المساكين حظهم ... فلننظر كيف تجري الأحداث إذن ... لقد قرّ رأيهم على أن يقطعوا ثمرها عند الصباح الباكر دون أن يستثنوا منه

---

(١) تفسير السعدي (ص٧٩٩) .

(٢) تفسير ابن كثير (١٣ / ٣٨٤) وعزاه إلى الطبري .

شيئًا للمساكين ، وأقسموا على هذا ، وعقدوا النية عليه ، وباتوا بهذا الشر فيما اعتزموه ، فلندعهم في غفلتهم أو في كيدهم الذي بيتوه ، ولننظر ماذا يجري وراءهم في بُهْمة الليل وهم لا يشعرون ، فإن الله لا ينام كما ينامون ، وهو يدبر لهم غير ما يدبرون ، جزاء على ما يبتوا من بطر بالنعمة ومنع للخير ، وبخل بنصيب المساكين المعلوم ، إن هناك مفاجأة تتم في خفية وحركة لطيفة كحركة الأشباح في الظلام ، والناس نيام ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴾ يذكّر بعضهم بعضًا ويوصي بعضهم بعضًا ويحمس بعضهم بعضًا ، ثم يمضي السياق في السخرة منهم ، فيصورهم منطلقين يتحدثون في خفوت زيادة في إحكام التدبير ليحتجنوا الثمر كله ويحرموا منه المساكين ﴿ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴾ وكأنما نحن الذين نسمع القرآن أو نقرؤه نعلم ما لا يعلمه أصحاب الجنة من أمرها . . .أجل فقد رأيناها كأنما هي مقطوعة الثمار بعد ذلك الطائف الخفي الرهيب، فلنمسك أنفاسنا إذن، لنرى كيف يصنع الماكرون المبيتون ﴿ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴾ أجل إنهم لقادرون على المنع والحرمان . . .حرمان أنفسهم على أقل تقدير، فكانت المفاجأة . . .وحاق بهم عاقبة البطر والمنع . . .ثم أخذوا يتلاومون . . .ثم تركوا التلاوم ليعترفوا جميعًا بالخطيئة ، أمام العاقبة الرديئة عسى أن يغفر الله لهم ويعوضهم خيرًا منها . . . »[١] .

وفي المقابل انظر إلى من ينفع الناس بما يزرع كيف يساق إليه الرزق وتبقى عنده النعمة لينفع بها الناس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **بينما رجل يمشي في فلاة من الأرض ، فسمع سحابة : اسق حديقة فلان ، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرّة**[٢] **، فإذا شرجة**[٣] **من تلك الشراج قد**

---

(١) في ظلال القرآن (٦ / ٣٦٦٥ ، ٣٦٦٦) .
(٢) الحرة : أرض ملبسة بحجارة سوداء ، انظر : شرح النووي على مسلم ١٨ / ٩١) .
(٣) الشرجة : موضع مسيل الماء . انظر المرجع السابق (١٨ / ٩١) .

استوعبت ذلك الماء كله ، فتتبع الماء ، فإذا رجل قائم في حديقته يحوِّل الماء بمسحاته ، فقال له : يا عبد الله ما اسمك ؟ ، قال : فلان للاسم الذي سمع في السحابة ، فقال له : يا عبد الله لِمَ تسألني عن اسمي ؟ ، فقال : إني سمعت صوتًا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول : اسق حديقة فلان لاسمك ، فما تصنع فيها ؟ ، فقال : أما إذا قلت هذا ، فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه ، وآكل أنا وعيالي ثلثًا ، وأرد فيها ثلثه » (١) .

فانظر في هذه الصورة والتي قبلها ، كيف يتم تدبير الله عز وجل ؟ .

في الأولى : جاء الطائف الموكل من عند الله ـ تعالى ـ ليحوِّل نعمة الله عمَّن منعوها عن خلقه ، كما في الحديث : « **إن لله ـ تعالى ـ أقوامًا يختصهم بالنعم لمنافع العباد ، ويثبتها عندهم ما نفعوهم ، فإذا لم ينفعوهم حوَّلها الله عنهم إلى غيرهم** » (٢) .

وفي الثانية : جاء الموكل بتدبير الأمر يسوق السحاب ويوجِّه إليه الأمر أن ينزل ليسقي زرع من ينتفع بنعم الله ويرى شكرها في نفع عباد الله .

ثم انظر إلى الخراب في الأولى ، والعمران في الثانية ، واختر لنفسك !!! .

دعوة النبي ﷺ إلى نفع الناس بالزرع :

هذا وقد أُثر عن النبي ﷺ العديد من الأقوال التي ترغب الناس في أن يزرعوا ما ينفعهم وينفع إخوانهم من حولهم .

من ذلك ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « **ما من مسلم يغرس غرسًا إلا كان ما أُكل منه له صدقة ، وما سُرق منه له صدقة ، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة** » (٣) .

---

(١) مسلم برقم (٢٩٨٣) ك الزهد والرقائق .

(٢) السلسلة الصحيحة برقم (٢٦٩٢) .

(٣) مسلم في المساقاة برقم (٧) .

وفي رواية : « **فلا يغرس المسلم غرسًا فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا طير إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة** »(١) .

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتفاعلون مع ما يسمعونه من كَلِم رسول الله ﷺ فيطبقونه عمليًّا، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رجلاً مرّ به وهو يغرس غرسًا بدمشق ، فقال له : أتفعل هذا وأنت صاحب رسول الله ﷺ ؟ ، قال : لا تعجل عليّ ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من غرس غرسًا ، لم يأكل منه آدمي ولا خلق من خلق الله إلا كان له صدقة** »(٢) .

بل وفي بعض الروايات تذكر أن أبا الدرداء رضي الله عنه ، كان يغرس شجرة من الأشجار التي لا تثمر إلا بعد زمن ، وكان قد طعن في السن ، فقيل له : أتغرس هذه وترجوا ثمرها ؟ ، فقال : وما عليّ أن أغرسها فأموت فيأكل منها مَنْ بعدي ، فيدعو لي فيبلغني دعاؤه في قبري ، وآخر يقول - وهو يغرس شجرة الزيتون - غرس لنا من قبلنا فأكلنا ، ونغرس ليأكل من بعدنا(٣) .

وهذا يدل على عمق نظر الصحابة وطاعتهم لله ورسوله ﷺ وعملهم الخير الذي يعود عليهم وعلى مجتمعهم بالنفع ، وليس بشرط أن يروا ثمرة هذا النفع في حياتهم ، وإنما يقدمون خطوات النفع ولو أن ينتفع به مَنْ بعدهم ، لأنهم يعلمون أن أجرهم لا يضيع عند من يقول عن نفسه - وهو أصدق القائلين : ﴿ **إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً** ﴾ [الكهف : ٣٠] .

حاجة الأمة إلى التنمية الزراعية :

إن الأمة الإسلامية الآن للأسف تأكل ما يزرع غيرها ، وتستورد قُوتَها في

---

(١) مسلم في المساقاة برقم (٧) .
(٢) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٦٠٠) وقال : حسن صحيح .
(٣) القرضاوي : الإيمان والحياة (ص ٣٠٠) ط. مكتبة وهبة ، القاهرة .

مقابل ذلها وتخليها عن منزلتها ووظيفتها ، وانظر إلى ما يفعل كثير من المسلمين في الأراضي الزراعية ، حيث يزرعونها بما يضر الناس ولا ينفعهم «بالحشيش والأفيون والبانجو والقات ... وغيره » .

ولنأخذ لذلك مثالاً في بلد « الإيمان والحكمة » حيث حُوِّلت كثير من الأراضي الزراعية التي كانت تنتج أجود أنواع البن والقمح والشعير إلى مزارع للقات ، في ظل شرعية دينية وقانونية ، فالعلماء لا يحرمونه ، بل يُغْرون العامة بأنه يُعينهم على القراءة والفكر ، والقانون لا يجرِّمه .

يقول الأستاذ / محمد أحمد الرعدي :

« ... يكمن الخطر في أن شجرة القات تزرع على حساب زراعة بعض المزروعات المفيدة كالبن والذرة والفواكة ، وهذا التوسع المستمر في زراعة القات من سنة لأخرى على حساب المزروعات الأخرى فيه المزيد من التهديد للأمن الغذائي ، فنجد على سبيل المثال أن المساحة المزروعة بالقات عام ٧٣ / ٧٤ قد زادت بنسبة ١١,٨٪ عن المساحة المزروعة به عام ٧٢ / ٧٣ ، وبالتالي انخفضت المساحة المزروعة من الذرة في نفس العام بنفس النسبة ، والمتوقع للأسف الشديد زيادة في المساحات المزروعة بالقات مما يعرض الأمن الغذائي في اليمن لمزيد من المخاطر ، بل يُعرضه حقًا لمخاطر مميتة ، حتى في مجال الثروة الحيوانية كاد القات أن يقضي عليها ، لأن التوسع في زراعة القات قد قلل الأراضي التي كانت تزرع بالأعلاف المستخدمة كغذاء للماشية ، هذا فضلاً عما يترتب عليه من إهدار للوقت والصحة ، فيتراوح الوقت الضائع ما بين ثلاث إلى خمس ساعات يوميًا ... وتكثر سرطانات اللثة والفم وفقدان الشهية والقلق .. »[١]، بالإضافة إلى كميات الماء الرهيبة التي تستهلك في زراعة القات ، ويترتب عليها نقص في مياه الشرب والزراعة ، وهذا إهدار واضح للثروة المائية .

---

(١) أ. محمد أحمد الرعدي: القات السلوى والبلوى (ص٧٥-٨٢)، بتصرف . ط.مؤسسة العفيف ، صنعاء .

بل وانظر إلى ما يفعله إخواننا في السودان وغيرها من الأراضي الزراعية برغم خصوبتها وانتشار الأنهار فيها لكن المجاعات لا تنتهي ... .

بينما يحدث هذا في بلادنا الإسلامية تسمع وتقرأ عن وعي وإدراك في كثير من البلاد الأخرى برغم بُعدهم عن طريق الله سبحانه « في سجون بريطانيا مجموعة من المجرمين ضاقوا بأوقاتهم ، قرروا أن يشغلوها بعمل نافع ، فقاموا بردم جانب من شاطئ البحر فأحالوه أرضًا صالحة للزراعة بلغت مساحة غير يسيرة ، وطالبوا المسئولين بأن يقسموا هذه الأرض بينهم ليتخذوا منها وسيلة إلى العمل الجاد والاستقرار الذي يغير تاريخهم ... »[١] .

ولا أدري كيف تكون المقارنة بين « عمل أولئك الفتيان الذين وجدوا ضالتهم في مصارعة البحر ، فما زالوا به حتى استطاعوا أن يقتطعوا منه تلك البقعة التي فتحت لهم أبواب الأمل في حياة كريمة ، ولفتت أنظار الناس لاقتفاء أثرهم في التعامل مع البحر لاكتساب أراضٍ جديدة يضيفونها إلى وطنهم، ويجدون فيها المجال الرحب لزيادة مكاسبهم ... »[٢] ، وبين إفساد المسلمين أراضيهم الزراعية !!! .

ألسنا نحن الذين أمرنا الله بإصلاح الأرض وعمارتها ، وجعل إصلاحنا لها سببًا في تملكنا لها ، كما قال ﷺ : « **من أحيا أرضًا ميتة فهي له** »[٣] ، ونهانا عن الإفساد فيها بقوله تعالى : ﴿ **وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ [الأعراف :٨٥] .

وانظر كيف وصف الأرض الخالية من الزرع بأنها ميتة ! ، فكان الذي يشارع بالزرع لينفع نفسه والآخرين يشارك في صنع الحياة بإذن الله .

« ويقص القرآن الكريم علينا أهمية الزراعة في إخراج الأمة من مأزق الجدب

---

(١) الشيخ/ محمد الغزالي : الطريق من هنا . (ص٣٠) ، ط. دار الشروق ، القاهرة .

(٢) المرجع السابق ، ص (٣١) .

(٣) سُنن الترمذي برقم (١٣٨٢) ، وقال : حديث حسن غريب .

والقحط والمجاعات في قصة يوسف عليه السلام ، حيث أرشد الناس أن يزرعوا ، ووضع لهم خطة مستقبلية للزراعة وحددها بأربعة عشر عامًا ،وقد كان هدف يوسف عليه السلام إنقاذ البلاد من المجاعة والهلاك نتيجة لسنوات القحط التي تعرضت لها، فأمر قائلاً : ﴿ **قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا** ﴾ أي متتابعات ﴿ **فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ** ﴾ [يوسف :٤٧] ، وتفاعل الشعب مع نبي الله يوسف عليه السلام ، فزرع وواصل الزرع ، واتخذوا المستودعات اللازمة لحفظ الحبوب والغلال ، وهذا الشعب الذي تفاعل مع نبي الله يوسف عليه السلام لا شك أنه سبق هذا التفاعل حملات من التوعية أثمرت هذا الوعي الذي شكل تفاعل المجتمع للعمل على إنقاذ الأمة ، لأنه بدون وعي المجتمعات يصبح التخطيط مجرد نظريات وأحلام ، توعية بمقدار الخطر القادم والجهود المبذولة والمطلوب مضاعفته من الجهود لخير ورفاهية الأمة ، وأشرف يوسف عليه السلام بنفسه على توزيع الأقوات خشية أن يتلاعب أهل الاحتكار بأقوات الناس ، فهم دائمًا ينشطون في مثل تلك الأوقات [١] .

وربما نسمع عن الغرب ما يرى حاجة المسلمين إلى القوت ، يرمي لنا فتاتًا من فائض انتاجه ومحاصيله الزراعية يسميها منحة ، يشتري بها ولاءنا ، ويُذل ويرغم بها أنوفنا ، في حين يسخر بنا في الوقت ذاته فيُهلك آلاف الأطنان من الحبوب في مياه المحيط مفضلاً هذا العمل على أن يكفي به قومًا لم يعملوا على كفاية أنفسهم !! .

فهل من غيور على دينه وعلى أمته يقول : لن نأكل إلا من غراس أيدينا ، ومن نتاج أرضنا نزرعها فتنبت فيتجاوب الزرع فيها مع ما حوله من تسبيح وتوحيد ، فيسبح ، هل من صاحب نظرة عميقة يقول : كما غرس لنا من قبلنا فأكلنا ، علينا أن نغرس ليأكل من بعدنا . . .

---

(١) **انظر** : د. نواف الحليسي : المنهج الاقتصادي في التخطيط لنبي الله يوسف عليه السلام (ص٢٥٣ – ٢٥٦)، ط. مطابع الأهرام ، القاهرة .